مراحل ظهور المعجم العربي المختص

محمد خالد الفجر

مع ظهور الإسلام واتساع رقعة البلاد والانفتاح العلمي على حضارات الأمم السابقة لأمة الإسلام، نشأت علومٌ متنوعةٌ في مجالات عديدة، وكان لهذه العلوم أثرٌ على اللغة العربية، أدّى إلى حمل ألفاظها مفاهيم جديدة. ونتيجة لتعدد العلوم بدأت طريقةٌ جديدة في التأليف تتناسب هي و النقلة الحضارية للأمة، تمثَّلت في تناول ألفاظ العلوم الجديدة مع شرح لها، وكانت هذه الألفاظ هي المصطلحات التي صارت مندرجة في حقلٍ علميٍّ محدد، وصار كل من يريد أن يدخل في مضمار هذه الحقول العلمية بحاجة إلى فهم مصطلحاتها، التي تمثل مفاتيح العلم المراد تحصيله .

وسط هذه النهضة العلمية والانفتاح الحضاري، اتسعت الترجمة وزاد الاتصال بعلوم الأمم السابقة، فتُرجم الكثير من علومها إلى اللغة العربية، وكان من بين الترجمات ترجمة مصطلحات العلوم وشرح المدلول الذي كانت تحمله؛ حتى يتمكن العرب من ولوج هذه العلوم. ويشير العلماء إلى أن خالد بن يزيد الأموي كان من أوائل الذين بدؤوا بإدخال كتب جديدة إلى العربية، وأنه قد بدأ بعلم الكيمياء[1]، ولكنَّ أهمَّ الترجمات التي دخلت إلى اللغة العربية في مجال المصطلحية كانت ترجمة مصطلحات معجمين مختصين في حقل الطب هما: (المقالات الخمس، ويسمى كتاب الحشائش) لدياسقريدس[2] ترجمه اصطفن

---

[1] انظر: د. عائشة عبد الرحمن، لغتنا والحياة، القاهرة، دار المعارف، ط٢، د.ت، ص ٧٤.

[2] دياسقريدس من أهل عين زَرْبَى شامي يوناني حشائشي كان بعد بقراط، وترجم من كتب بقراط الكثير، وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب وهو العلم في العقاقير المفردة، انظر: ابن جُلجُل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٥٥م، ص ٢١.

بن بسيل[٣] ، وكتاب (الأدوية المفردة) لجالينوس[٤] ، وقام بترجمته حنين بن إسحاق(١٩٤هـ /٨١٠م)[٥]،وقد عُدَّ هذان المعجمان أولَّ مُعجَمَين مختصَين عرفتهما اللغة العربية لكنهما ليسا من إنتاج البيئة العربية وإنما من إنتاج اليونان[٦]. وكان ظهور هذين المعجمين في القرن الثالث الهجري. هذا الظهور المتأخر للمعجم المختص يشير إلى أن المعجم المختص كان تالياً لظهور المعجم العام؛ إذ إنَّ أولَّ معجم عام كان قبل القرن الرابع الهجري الذي يعد الفترة الزمنية التي ظهر فيها المعجم المختص العربي، وهو معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ/٧٩١م). ويُعلَّل هذا التأخر في ظهور المعجم المختص بأن المجالات العلمية، لم تكن متسعة الاتساع الذي وصلت إليه في القرن الرابع الهجري؛ ولهذا يرى الدكتور حسين نصار أن آخر الظواهر اللغوية التي بدأ العلماء بتسجيلها، هي ظاهرة التدوين العلمي- كانت في أواخر العصر الأموي و أوائل العصر العباسي- وقد توافقت مع وضع أسس معظم العلوم العربية، نقليةً: كعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والأصول، والنحو، وعقليةً: كالرياضة، والمنطق، والفلسفة[٧].

والذي يُلاحظ أن المؤلفات العلمية التي ظهرت في بداية الاحتكاك بحضارات الأمم

---

[٣] اصطفن القديم: نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها، انظر: ابن النديم، الفهرست، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٦م،ج٢٤٤/١، والقنوجي، أبجد العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م، ج٢٥٤/٢. ولم أقف على معلومات موسعة عن هذا العالم في كتب التراجم.

[٤] جالينوس: من أهل مدينة بُرغَمُش وهي في بلاد آسيا إلى الشرق من قسطنطينية ولد حوالي ١٣٠م، وتوفي حوالي ٢٠٠م له في الطب ستة عشر ديوانًا، انظر: ابن جُلجُل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي،١٩٥٥، ص ٤١-٤٢، وابن أبي أصيبعة،عيون الأنباء، بيروت، دار الفكر، ١٣٧٦/١٩٥٦م، ج١٠٩/١ .

[٥] حُنين بن إسحاق أبو يزيد العِبَادي طبيب مؤرخ ومترجم، من أهل الحيرة في العراق، ولد ١٩٤هـ /٨١٠م ، أقام مدة في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، أخذ الطب في بغداد عن يوحنا بن ماسويه تمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية. جعله المأمون رئيسًا لديوان الترجمة لخص كثيرًا من كتب أبقراط وجالينوس.. انظر: ابن أبي أُصَيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الفكر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، ص ١٣٩. والزركلي، الأعلام ج٣٢٥/٢.

[٦] د. إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختص، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م، ص ٣٢ .

[٧] د. حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، القاهرة، دار مصر للطباعة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، جـ١/ ٣٣، وانظر د. علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق ، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

السابقة لظهور الأمة العربية الإسلامية، اقتصرت على حقل علمي واحد، كما رأينا في المعجمين اللذين ترجما إلى العربية (الحشائش، والأدوية المفردة) ، أما المعجم العلمي المختص بمصطلحات حقول علمية متعددة، فيُعدُّ إحصاء العلوم للفارابي الذي ظهر في القرن الرابع الهجري، ووزعه وفق الحقول العلمية المتعددة، المعجم الرائد الذي تحققت فيه أغلب الشروط التي ينبغي توافرها في المعجم المختص بحقول علمية متعددة.

ولكن العمل المعجمي لم يصل إلى هذا الشكل الذي وصل إليه في الرقن الرابع الهجري، إلا بعد مراحل ممهدةٍ كانت قاعدةً استند إليها مصنفو المعاجم المختصة.

وإذا صحَّت نسبة كتاب غريب القرآن لابن عباس –رضي الله عنهما– (٣ق. هـ – ٦٨هـ/٦١١-٦٨٧م)[٨] فيعد أولى الحركات العلمية اللغوية التي عرفها العرب[٩]. كان الغرض من كتاب ابن عباس تفسير ما جدَّ من مفاهيم حملتها كلمات وردت في القرآن الكريم، وتلاه بعد ذلك الرسائل اللغوية ، ثم معاجم موضوعاتية جمعت أغلب المواضيع التي كان يفرد لها رسالة مستقلة. إن هذه الأعمال اللغوية تعد الإرهاص الأول لتصنيف المعاجم المتخصصة.

ويدعم هذا القول التوافق إلى حدٍّ ما بين طريقة ترتيب الاعمال السابق،وطريقة ترتيب وتصنيف عددً من المعاجم المتخصص المتعددة الحقول مثل: "إحصاء العلوم" للفارابي، و "مفاتيح العلوم" للخوارزمي اللذَين اتبعا طريقة ترتيب المصطلحات وفق الحقول، أي بشكل يتشابه إلى حد هو و طريقة توزيع ألفاظ الرسائل اللغوية. فلو نظرنا إلى طريقة توزيع بعض الرسائل لوجدنا أنها تقوم على أساس موضوع مفرد ويجمع ما يتعلق به من

---

[٨] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ولد بمكة ٣ ق.هـ/٦١١م. وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي فيها ٦٨هـ/٦٨٧م. له في الصحيحين ١٦٦٠ حديثًا، وينسب إليه كتاب (غريب القرآن). انظر: الزركلي، الأعلام، ج٤/٢٢٨-٢٢٩.

[٩] انظر: د. حسين نصار، المعجم العربي، ج١/٣٢.

كلمات. ومعجما الفارابي و الخوارزمي يقومان على جمع موضوعات علمية (حقول علمية) وما يتعلق بها من مصطلحات، فأساس تصنيفهما هو الموضوع، ولكن الذي اختلف هو دقة التصنيف، والمادة التي احتواها كلٌّ من المعجمين السّابقين، فإذا كانت الرسائل اللغوية ، وما تلاها من معاجم موضوعات، قد جمعت مواضيع عامة، فإن المعاجم المختصة قد حصرت مادتها بحقول علمية محددة.

إنَّ تأثر المتأخر بالسابق ظاهرة عامة كما قال: الدكتور أبو الفرج : " هناك ظاهرةٌ عامةٌ واضحةٌ في المعاجم العربية ... هي أن المتأخرين اعتمدوا على السابقين لهم عامةً إلى حدٍ بعيد، و مع ذلك كان هناك تميزٌ في المعاجم "[١٠].

وقد أقر بهذا التأثر العلماء الذين مثّلوا طرقًا متعددة في التأليف المعجمي، وخير مثال على ذلك ابن دريد صاحب الجمهرة؛ فقد أقر بأسبقية الخليل وتبعية من جاء بعده له بقوله: "وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد "[١١].

و نحن لا نستطيع تَعَرُّف أفكارِ أيِّ مفكر من المفكرين، إلا من خلال فكرة التأثر بالسابقين، والتأثير في اللاحقين؛ إذ إننا نقول: إنَّ من لم يقرأ إلا أفلاطون، لا يفهم أفلاطون[١٢].

هذا التدرج في استواء هذا الفن من فنون التصنيف يتفق مع النظريات التي ترى التدرج في نشأة اللغة؛ فكما أن اللغة قد تدرجت على مراحل حتى استوت على الصورة التي يتعارفها متكلموها اليوم، فكذلك كلُّ علمٍ يمر بمراحل تكوينية؛ حتى يستوي على سوقه ويصبح حقلًا قائمًا بذاته له مصطلحاته وقواعده ومناهجه التي تميزه عن غيره، وهكذا

---

[١٠] د. محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٦٦،ص ٢٧.

[١١] جلال الدين السيوطي، المزهر، شرح محمد جاد المولى وآخرين، بيروت المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، جـ١/ ٩٢، وانظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، بيروت، دار صادر، د.ت، ج١/٣.

[١٢] انظر: تصدير د. عاطف لكتاب فلسفة اللغة عند الفارابي، د زينب عفيفي،القاهرة، دار قباء،١٩٩٧م، ص ٩ .

كان التدرج في نشوء المعجم المختص، حيث بدأ بتفسير غريب القرآن، ثم بجمع الألفاظ المحيطة بالبيئة التي كان يعيش فيها اللغويون ، ثم بجمع ألفاظٍ ظهرت مع تطور الحياة وقد جُمِعَت معاجم الموضوعات، ثم المرحلة الأخيرة وهي تصنيف المعاجم الموزِعَة للمصطلحات بحسب العلم الذي يمثلها.

المرحلة الأولى (غريب القرآن):

تمثل المرحلة الأولى إرهاصاتٍ لظهور معجم جامع في اللغة العربية بشكليه العام والمختص؛ ولهذا يرى العلماء أن جميع مظاهر المعجم العربي التاريخية من رسائل مفردة، وغريب مصنف، ودلائل إعجاز، ومعاجم مختصة أو عامة قد وضعت في أول أمرها تفسيرًا وتأويلًا لآيات القرآن الكريم ومعانيه ومجازاته[١٣].

وينسب أول عمل في حقل التفسير **إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهو (غريب القرآن)** :

يعد هذا الكتاب بداية لتفسير الكلمات ذات المفهوم الجديد التي جاءت مع نزول القرآن الكريم، ومع بدء الناس بالسؤال عن تفسير بعض الكلمات الغريبة التي كانوا يجدونها في كتاب الله تعالى؛ إذ إن القرآن الكريم كان فيه كلمات غير موجودة في لسان قريش، وإنما في لهجات أخرى، ولم يكن كل الناس يفهمون هذه الكلمات[١٤].

يقوم منهج الكتاب على ذكر اسم السورة، ثم يشرح بعض الكلمات مبينًا أصلها واللهجة التي تستخدم هذه الكلمات. وأول سورة ابتدأ بها الكتاب هي سورة البقرة. ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ((قالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهاء...

---

[١٣] د. محمد رشاد حمزاوي، المعجم العربي، ص ٧٨.

[١٤] انظر: عبد الله بن عباس، غريب القرآن، تحقيق د. أحمد بولوط، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١٤١٣،١هـ/١٩٩٣م، ص ٣٣، والمعجم العربي نشأته وتطوره، ج١، ص ٣٣.

))[١٥]. قال: " والسفيه الجاهل بلغة كِنانة "[١٦]. ومن سورة آل عمران قول الله تعالى: ((كَدَأْب آلِ فِرْعون))[١٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: " يعني كأشباه آل فرعون بلغة جُرْهُم"[١٨]. هذا هو منهج ابن عباس في هذا الكتاب الذي نسب إليه، فهو يقوم على اختيار بعض الكلمات من بعض السور وتوضيح معناها، ثم ذكر اللسان الذي يستخدمها للدلالة على المعنى الذي نزلت به الآية الكريمة.

ثم تتالت المؤلفات التي كتبت في غريب القرآن ومن الذين ذكرت أسماؤهم بعد ابن عباسٍ في تأليف كتب غريب القرآن: أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (١٣٨-٢٠٢هـ/٧٥٥-٨١٨م)[١٩]-النَّضر بن شُمَيل (١٢٢-٢٠٣هـ/٧٤٠-٨١٩م)[٢٠] – أبو عبيدة مَعْمر بن المثَنى (١١٠-٢٠٩هـ/٧٢٨-٨٢٤م)[٢١] – الأصمعي(٢١٣هـ)[٢٢].

. المرحلة الثانية (الرسائل اللغوية):

تُعَدُّ الرسائل اللغوية نواةً للمعجم المختص لاحتوائها على كثير من الكلمات المرتبطة بمجالٍ معين؛ لذا فهي الممهدة لتلك المعاجم التي ستدون المصطلحات المرتبطة بحقل

---

[١٥] سورة البقرة، آية (١٣) .

[١٦] غريب القرآن، ص ٣٨.

[١٧] سورة آل عمران، آية (١١).

[١٨] غريب القرآن، ص ٤٠.

[١٩] يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوي أبو محمد اليزيدي من أهل البصرة. اتصل بهارون الرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون، وعاش إلى أيام خلافته، وتوفي بمرو ٢٠٢هـ /٨١٨م. من كتبه: النوادر في اللغة، والمقصور والممدود، ومناقب بني العباس. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٩/٢٠٥.

[٢٠] النّضر بن شُمَيل بن خَرَشة المازني التميمي، ولد بمرو من بلاد خراسان ١٢٢هـ/٧٤٠م، وانتقل إلى البصرة، ثم عاد إلى مرو فولي قضاءها، وتوفي فيها، ٢٠٣هـ/٨١٩م. من كتبه: الصفات، وكتاب السلاح، وغريب الحديث. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/٣٥٨.

[٢١] معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري النحوي. ولد في البصرة ١١٠هـ/٧٢٨م، وتوفي فيها ٢٠٩هـ /٨٢٤م، استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. له: نقائض جرير والفرزدق، مجاز القرآن، مآثر العرب، ومثالب العرب... انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨/١٩١.

[٢٢] انظر: د. حسين نصار، تاريخ المعجم العربي نشأته وتطوره، ج١/٤٠.

علميٍّ واحد، والمعاجم المختصة باكثر من حقلٍ علميٍّ.

ارتبطت تلك الرسائل اللغوية ببعض مظاهر حياة العرب في شبه الجزيرة العربية، فكانت الألفاظ التي جمعت فيها نابعةً من البيئة نفسها التي كان يعيش فيها العرب. فقد اهتموا بالأنواء لصلتها بحياتهم الاقتصادية، والاجتماعية، وكان للخيل والإبل والنبات أهميةٌ كبيرةٌ؛ لأنَّ حياتهم قائمةٌ على الرحلة في طلب الكلأ والفرار من الجدب[٢٣].

ويرى الدكتور حسين نصار أنَّ جمع اللغة في معاجم صُنِّفت على أساس المعاني والموضوعات من أقدم ما ألَّف الدارسون في اللغة العربية، إن لم يكن أقدمها[٢٤].

وبناءً على كلام الدكتور نصار فإنَّ المعاجم لم تظهر بالصورة التي نراها عليها اليوم ابتداءً، ولم يُرَتب اللغويون كتبهم على الحروف، وإنّما بدأ التأليف اللغوي برسائل صغيرة، جمع فيها مؤلفوها الألفاظ المتعلقة بأحد الموضوعات فكان الموضوعُ عندهم أساس الجمعِ لا الترتيب وفق الحروف[٢٥].

فقد كان اللغويُّ ينطلق إلى البادية، ويجمع الألفاظ من ساكنيها، فيسجل ما يتعلق بالموضوع ضمن رسالة مخصَّصة له مثل: موضوع الإبل يجمع الألفاظ المرتبطة به، ثم يصدرها في رسالة تحمل اسم المجال الذي جمع الألفاظ المرتبطة به فظهرت رسائل: الإبل، والخيل، والنبات، والحشرات.

ويرى الدكتور محمود ياقوت أنّ أقدم الرسائل هي تلك التي تناولت موضوع الحشرات، وتُنسَب هذه الرسالة إلى أبي خَيرة الأعرابي[٢٦]، وقد نقل عنه ابن سيده تعريف الحشرة

---

[٢٣] انظر: د. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، سلسلة دراسات في التراث العربي، الكويت، وزارة الإعلام،١٤٠٥-١٩٨٥،ص٣٦، و د. محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، مصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص٦٦.

[٢٤] د. حسين نصار، معاجم على الموضوعات، المقدمة ص ٥.

[٢٥] المرجع السابق، ص٤٧

[٢٦] د. محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات، ص٥٢-٥٣.

بقوله: " قال أبو خيرة: شرة الأرض الدوابُّ الصغار منها اليربوع والضب..."[٢٧].

وكانت مادة الرسائل مقتصرةً على الغريب، والسبب في هذا الاقتصار كما يرى الدكتور عبد الله درويش أنَّ هذا النوع من المفردات هو الذي كان يحتاج فقط – في نظرهم – إلى توضيحٍ وتفسير، أمَّا المفردات الأخرى فقد كان من السهل على القارئ العادي – في رأيهم – أن يعرف معناها ويستنتجه من سياق الكلام[٢٨].

و ذكرت لنا كتب اللغة الكثير من الرسائل ومنها: خَلْق الإنسان، والإبل لأبي عبيدة معمر بن المثنى، الإبل، والشاء، للأصمعي....الخ.

وسأمثل لهذه الرسائل برسالةٍ للأصمعي[٢٩]وهو عالمٌ لغويٌّ قد عاصر الخليل، وظهر له أثرٌ في المعجم الموضوعي الذي ظهر بعد الرسائل اللغوية، وقد كتب عددًا من الرسائل اللغوية منها:

خلق الإنسان- الإبل- الخيل- الأنواء- النبات.

وكمثال على هذه الرسائل (رسالة النبات)، التي نشرها المستشرق (أوغست هنفر) في كتابه: (البلغة في شذور اللغة)

منهج الأصمعي في رسالته:

لم يبدأ الأصمعي بمقدمة تبين غرضه من هذه الرسالة، ولا منهجه في تصنيفها، إلا أن المادة التي دُونت في الرسالة تقوم على أساس البدء من الأرض التي تنبت فيها النباتات،ثم ذكر أسماء النباتات بحسب الأنواع، وذلك بتخصيص فصل مستقل لكل نوع،

---

[٢٧] ابن سيده، المخصص، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج٨/ ص ٩١.

[٢٨] انظر: د. عبد الله درويش، المعاجم العربية،ص ٨.

[٢٩] عبد الملك بن قُرَيب بالتصغير ابن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي الباهلي، ولد سنة ١٢٣ هـ / ت سنة ٢١٥ هـ له العديد من التصانيف منها: الأجناس في أصول الفقه، أصول الكلام ، الأضداد في اللغة، خلق الإنسان... انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٥/٦٢٣.

ثم يذكر الشجر وأماكن نموها. ولم تكن لغته علميةً خالصةً بل شملت أساليب بلاغية كالكناية، التي ظهرت في بداية حديثه: "يقال رأيت أرض بني فلانٍ غِبَّ المطر واعدةً حسنةً، إذا رجي خيرها، وتمام نبتها في أول ما يظهر النبت، ويقال وَشِمَت الأرض إذا رأيت فيها شيئًا من النبات"[٣٠].

وكان يشفع ما يذكره من أنواع للأراضي بشواهد شعرية مثل قوله: "ويقال للأرض إذا حسُن نباتها، وامتلأت قد أتمَّت والنبت وقتئذٍ مكتهل ومُعتَّم، ويقال نبتٌ عميمٌ وعممٌ أيضًا. قال الأعشى:

يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعميم النَّبْتِ مُكْتَهِلِ"[٣١].

ثم يأتي فصلٌ عنوانه (في النبت من الأحرار وغير الأحرار)

يقول :"أحرار البقل ما رقَّ وعَتُق، (ومعنى عَتُق كَرُمَ والعِتق الرِّقة) وذكور البقل ما غَلُظَ منه"[٣٢].

وقسّم النبات إلى ذكور وغير ذكور فيقول: "ومن أسماء الذكور: القِرَّاص والخُزَامى والأُقحُوَان..."[٣٣].

أما غير الذكور فمنها: "الهَيْشَر والحَمْض، والرِّمث..."[٣٤].

---

[٣٠] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، ١٩١٤، كتاب النبات، ص ١٩.

[٣١] السابق، ص ٢٣.

[٣٢] السابق، ص ٢٨.

[٣٣] السابق، ص ٣٣. القُرّاص: عشبٌ ربيعيٌّ ذو وبرٍ حادٍ يقرص إذا مُسَّ. انظر: البستاني، قطر المحيط، مادة قَرَص، ص ٤٧٤.، والخُزامى: كَحُبَارَى نَبْت طَيِّبُ الرِّيح. انظر: تاج العروس مادة خزم ج٣٢/ص٨٢.، والأُقْحُوَان: نباتٌ له زهرٌ أبيض في وسطه كتلةٌ صغيرة صفراء، وأوراق زهره مُفلَّجة صغيرة يشبهون بها الأسنان الواحدة منه قُحوانة، وأُقْحُوانة. انظر: البستاني، قطر المحيط مادة قحا، ص ٧٦٧.

[٣٤] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة، ص ٣٩. والهيشر: نباتٌ رِخو فيه طولٌ وله ورقة فيها شوك ضخم، وزهرته صفراء. انظر: ابن منظور لسان العرب، مادة هشر ج٦/٤٦٦٧. والحَمْض: ما ملخ وأمر من النبات جمعه حُمُوض. انظر: البستاني، قطر المحيط، مادة حَمَض، ص ١٢٦. الرِّمْث: مرعى للإبل من الحمض وشجر يشبه الغضا ، السابق مادة رمث، ص ٢٢٢.

وحدّد لكل مكان نبتًا خاصًا به،كما في قوله: "ومما ينبت في السَّهل العَرْفَج...."[٣٥].

و كذلك يذكر بعض النباتات التي تنبت في الرمل فيقول: "وممّا ينبت في الرَّمل من الشجر الآلاء والواحدة آلاءةٌ، والأُطْمي وله صمغةٌ يمضغها العرب"[٣٦]. ثم يبدأ بذكر أسماء الشجر بعد تناوله للنباتات ويخصص لها فصلًا يسميه (الشجر). فيذكر الأشجار التي تنمو في أمكان محددة كما في المثال التالي: "ومن شجر الحجاز الغرقد والسِّدْر، ومما ينبت في جبال نجد الثَّغَام والحُمَّاض"[٣٧].

من خلال هذا العرض الموجز لما ورد في رسالة النبات للأصمعي، يتبين أن فيها بعض ملاح المعجم المختص، إلا أنها لا تعد متفقة مع اللغة العلمية لكثرة الدمج بينها وبين اللغة العامة، أضف إلى ذلك أن كثيرًا من الألفاظ قد ذكرت دون تفسير أو شرحٍ لها، كما أنه لم يخضع المادة لترتيب معين فقد خلط بين النبات والشجر أثناء حديثه عما ينبت في الرمل، فكان يتحدث عن النبات ثم اقتطع الحديث بقوله: "وممّا ينبت في الرَّمل من الشجر الآلاء والواحدة آلاءةٌ، والأُطْمي وله صمغةٌ يمضغها العرب"[٣٨]. فهو أدرج أسماء أشجار مع النبات مع أنه خص الشجر بفصل مستقل، تلا حديثه عن النبات.

ولكن مع ذلك لم تخل هذه الرسالة من بعض سمات اللغة العلمية وخاصة في عناوين

---

[٣٥] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة ، ص ٤٠. والعَرْفج، والعِرْفِج: نبتٌ واحدته عَرْفَجة، وقيل: هو من شجر الصيف له ثمرةٌ خشناء كالحسك. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عَرْفَج، ج٤/٢٩٠٢.

[٣٦] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة ، ص ٤٥. والآلاء: شجرٌ حسن المنظر مرُّ الطعم ولا يزال أخضر شتاء وصيفًا، ولها ثمرة تشبه سنبل الذرة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة أَلأ، ج١/١٠٥.

[٣٧] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة ، ص ٤٧-٤٨. والسِّدر: وهو نوعان: الأول بريٌّ لا ينتفع بثمره، ولا يسوغ في الحلق والعرب تسميه الضال، والثاني ينبت على الماء، وثمره النَّبْق، والنَّبق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة سدَر ج٣/١٩٧١. و مادة نبَق ج٦/٤٣٢٨. والثّغام: هو نبتٌ أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ثغم ج١/٤٨٧. والحُمّاض: نبتٌ جبلي وهو من عشب الربيع، ورقه عظام ضُخْم، زهره أحمر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حمَضَ ج٢/٩٩٧.

[٣٨] أوغست هنفر، البلغة في شذور اللغة ، ص ٤٥.

الفصول، التي تنوعت بتنوع النبات، ومكان نموه.

كانت هذه الرسالة نموذجًا لطريقة جمع الألفاظ في الرسائل اللغوية، وكان سبب اختيار الأصمعي عائدًا إلى كونه من المعاصرين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي يعد رائد تصنيف المعاجم العربية العامة؛ وكذلك للأثر الذي تركته هذه الرسائل في معاجم الموضوعات التي جمعت تلك المواضيع التي كانت تجمع بكتبٍ مستقلة في الرسائل اللغوية.